المتن

الوجه الخامس:

أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله. فيُقال في قوله تعالى:"وجَاءَ ربُّكَ" :إنه لايَجيء وفي قوله-صلى الله عليه وسلم-:"ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا" إنه لاينزلُ لأن إسنادَ المجيء والنزول إلى الله تعالى مجازٌ عندهم.

وأظهرُ علاماتِ المجاز عند القائلين به صِحة نُفيهِ.ونفي ما أثبته الله ورسوله من أبطل الباطل ولايُمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره لأنه ليس في السياق مايدل عليه.

الشرح

انتبه نقول:يلزم على قولكم إنه يجوز أن ننفي لا أن نأوِّل.أن تنفي ماأثبته الله لنفسه مثاله قوله تعالى:"وجَاءَ ربُّكَ".هم يقولون جاء أمره؛ أما جاء هو بنفسه فلا.هذا كلامهم.فحينئذٍ يلزم على قولهم صحة وجواز؛ نفي ماأثبته الله؛ وهذا تكذيبٌ في الواقع.

"ينزل ربُنا إلى السماء الدنيا"يقولون:ينزل أمره أو رحمته. نقول يلزم على قولكم أن تقولوا إن الله لاينزل وهذا تكذيبٌ للنص. فإذا قالوا:نحن نقول إنه ينزل لكن النزول لأمره لا له. فإنا نقول: لاينفعكم هذا لماذا لاينفعكم؟ لأنه ليس عندكم دليلٌ يدلُ على ذلك.ولو كان عندهم دليلٌ لكان هذا تفسيرًا للقرآن. وتفسيرُ القرآن بالمعنى الصحيح جائزٌ.

المتن

ولايمكنهم الانفكاك عنه- أي عن هذا النفي -بتأويله إلى أمره لأنه ليس في السياق مايدل عليه.

الشرح

لو قالوا في قوله –صلى الله عليه وسلم-" يضحكُ اللهُ إلى رجلين يقتل أحدُهما الآخر كلاهما يدخل الجنة" يقول: يضحك بمعنى يُثيب وليس المراد به الضحك الحقيقي.

*نقول: إذن نفيتُم الضحك ؛ونفي ما أثبته الله لنفسه تكذيبٌ له ؛ والتكذيب بالنصوص كفرٌ.

*فإذا قالوا نحنُ ما نفينا الضحك لكن قلنا المراد بالضحك كذا. ماذا نقول لهم؟

*نقول: ما الدليل؟فلايمكن انفكاكهم عن النفي بالتأويل أبداً؛لأن التأويل يحتاج إلى دليل

*ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات أو تعدى إلى الأسماء أيضًا ومنهم من تناقض فأثبت بعض الصفات دون بعض.

هذه الجملة نستفاد منها أن أهل التعطيل انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

1-قسم أنكرالأسماء والصفات.

2-وقسم أنكرالصفات دون الأسماء.

3-وقسم ثالث أنكروا بعض الصفات وأثبتوا الأسماء وبعض الصفات.

فالذين أنكروا الأسماء والصفات هم غُلاة الجهمية, قالوا: لايجوز أن نُثبت لله اسمًا ول اصفة ً.والوارد في القرآن والسُنة؟ قالوا هذه أسماء لبعض مخلوقاته وليست أسماءً لله؛ وإنما تسمى بها على سبيل المجاز.

والذين قالوا نُثبت الأسماء دون الصفات قالوا:إن اللهَ سميعٌ بلاسمع,بصيرٌ بلابصر إلى آخره.... إذن كيف تقولون: سميعٌ بلاسمع , بصيرٌ بلابصر؟ قالوا: نعم لأن البصر صفة ونحنُ ننكر الصفات؛ ويجعلون هذه الأسماء أعلامًا مجردة فقط؛كما تضع اسم خالد لولدك وهل له صفة الخُلد؟ لأ.... يقولون هكذا أسماءُ الله تُذكر لكنها أعلامٌ مجردة لمجرد العلمية فقط وليست أسماءً تدلُ على معاني.

وأعجبُ من ذلك أن بعضهم يقول:إن السميع والعليم والبصيرشيءٌ واحدٌ يُسمى به الله كما تقول: بُر وقمح وحب.... يقولون هذه الأسماء كلها شيءٌ واحدٌ. وهذا أيضًا يُخالف المعقول والمنقول. كيف تقول السميع هو العليم والعليم هو الرحيم والرحيم هو العزيز.... وهكذا؟ هذا ممتنِعٌ وهؤلاء هم المعتزلة.

المعتزلة يقولون إننا نؤمن بالأسماء وننكر الصفات.

أما القسم الثالث: آمنوا بالأسماء وآمنوا بالصفات لكن لابكل الصفات بل ببعضها.

*وهؤلاء هم الأشعرية والماتُريدية نسبة ًإلى أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتُريدي

*أبوالحسن الأشعري-رحمه الله-قد كان له في حياته ثلاثة مذاهب:

1-المذهب الأول:مذهب المعتزلة وبقي على هذا المذهب نحو أربعين سنة.

2-المذهب الثاني:مذهب الأشاعرة الذي بين مذهب السلف ومذهب المعتزلة وهو الذي بقى عليه أصحابه المنتسبون إليه.

3- والثالث: مذهب أهل السُنة الذي التزم فيه مذهب الإمام أحمد-رحمه الله-
*فالأشعرية في الواقع لاتصح نسبتهم إلى أبي الحسن الآن بعد أن ثبت رجوعه عما كان عليه.

هؤلاء يقولون: نثبت الأسماء ونُثبت بعض الصفات والباقي لانثبته ولهذا يقول:أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدلُ عليه ونفوا مانفوه بحجة أن العقل ينفيه أو لايدلُ عليهِ ؛لأنهم يقولون: مادلَّ العقلُ على ثبوته أثبتناه ومادلَّ على نفيه نفيناه ومالا يدل على نفيه ولا إثباته نتوقفُ فيه؛ وأكثرهم يقولون ننفيه فنقول لهم:نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لايدل عليه؛ يُمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم بهما أثبتموه كما هو ثابتٌ بالدليل السمعي.
على كل حال الرد عليهم أكثر مما ذُكر في القواعد هنا لأننا نقول:

*أولاً: اعتمادكم على العقل في إثبات مايجب إثباته ونفي مايُنفى عنه باطلٌ وغيرُ صحيحٍ لأنه مُخالفٌ لما كان عليه النبي-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه.
*ثانيًا: ولأن ذلك من أمورالغيب التي لاتدركها العقول.

*ثالثًا:ولأن العقول التي زعمتم الرجوعَ إليها متناقضة مختلفة.
*رابعًا:ولأن الرجوع إليها يستلزم إبطال ما دلَّ عليه السمع. فكل هذه الأمورتدل على أن الرجوعَ إلى العقل في باب صفات الله باطلٌ.

نعيدها مرة ثانية وإن كانت غير موجودة بالقواعد لكنها مهمة.

*أولاً:أن الرجوع إلى العقل باطلٌ لأن الرسول-صلى الله عليه وسلم-وسلف الأمة لم يرجعوا إليه"العقل".

*ثانيًا:أن العقول متناقضة مضطربة لايمكن الرجوع إليها لأن تناقض الأدلة يدل على فسادهاوبطلانها,ولأنها إذا كانت متناقضة مضطربة فإلى أيِّ شيءٍ نرجع؟إلى عقل فلان أو إلى عقل فلان؟ماندري.

*ثالثًا:أن الرجوع إلى العقل يستلزم رد مادلَّ عليه السمع من صفات الله-عزوجل-وهذا لاشك أنه باطلٌ لأن كلَ شيءٍ يستلزم رد ماجاء به الشرع فإنه باطلٌ بلاشك.

*رابعًا:أن ما وصف اللهُ به نفسه من أمورالغيب ولايُمكن للعقول إدراكُ ذلك فحينئذٍ أبطلنا أصل دليلهم.أبطلنا أصل دليلهم من كام وجه؟ من وجوهٍ أربعة.

الثاني:أن تقول لهم:هب أن العقل لايدل على مانفيتم لكنه ثبت بدليل السمع لأن انتفاءَ الدليلِ المُعَيَّنِ لايستلزم انتفاء المدلول.واضح ولاأ؟ طيب نقول: هب أن العقل لايدل على مانفيتم, هب أن العقل لايدل على ثبوت الضحك والفرح والرحمة وما أشبهُ ذلك لكن السمعُ دلَّ عليه فوجب إثباته بدليل السمع.وانتفاء الدليل المُعيَّن الذي هو العقل كما قالوا لايستلزم انتفاء المدلول الذي هو الضحك والفرح وما أشبهُ ذلك. لماذا؟ لأن المدلول قد يكون له أكثر من دليل؛وهذا واضحٌ في الأمر المعقول والأمر المشهود بالحِس إذا قدَّرنا أن هذاالطريق الذي يوصل إلى مكة الآن مسدودٌ ؛هل معناه يمتنع الوصول إلى مكة؟لأ لماذا؟يمكن من طريق آخر.

لو قال قائلٌ:إن الإجماع لايدل على أن لحم الإبل ينقض الوضوء؛ فلاينقض الوضوءَ به لأن الإجماع لايدل عليه. إيش؟ نقول ثبت بدليلٍ آخر وهو السمع "السُنة".

لو قال لك قائلٌ: إن القرآن لايدل على وجوب سجود السهو لمن تركَ واجباً فنقول:جاء بدليل السُنة.

والمهم أن هذه القاعدة مفيدة وهوأن انتفاء الدليل المُعيَّن لايستلزم انتفاء المدلول.

لماذا ؟لأنه قد يكون له دليلٌ آخر يَثبتُ به. فنقول لهؤلاء:سلمنا أن العقل لايدل على مانفيتم لكنه يدل عليه السمعُ فوجب إثباته بدليل السمع.

خامساً:نقول بل يمكن أن يكون العقل قد دلَّ على مانفيتم؛ وقولكم إن العقلَ لايدلُ عليه غيرُ مقبولٍ. مثالُ ذلك هم يقولون:إن العقل يدل على أن الله لايتصفُ بالرحمة.قالوا:لأن الرحمة لَينٌ وعطفٌ ورقةٌ وهذا لا يُناسب مقام الربوبية.أو إرادة الإحسان أما أن يكون له رحمة هذا لايمكن.لماذا ؟ قالوا:لأن العقل يدلعلى عدم ثبوتها.فنقولُ لهم- أولاً:إذا لم يدل العقل على ثبوتها العقل فقد دلَّ عليها السمعُ ؛ونقول ثانيًا بل قد دلَّ عليها العقل.كيف دَلالة ُالعقلِ عليها ؟نقول نحنُ الآن نتقلبُ في نِعمِ الله من الصحةِ والرزقِ والسمع والبصر والعلم والمال والولدِ والأهل والأمنِ وغيرِ ذلك ممالايُحصى.هذه النِعم إيش تدل عليه؟ على الرحمة.إذن نثبت صفة الرحمة بالعقل.قال اللهُ تعالى: "فانظرإلى آثار رحمةِ اللهِ كيف يُحي الأرضَ بعد موتها" الروم 50 –فحينئذٍ يكونُ العقلُ دالاً على ثبوت صفة الرحمة ؛ والسمع.